على المصطبة..

كان عمى حسنين الوزير هكذا كان نقيه وليس لقبه.. يجلس أمام دوار بيته العتيق، الذى لم يشأ أن يغير من ملامحه شيئ، رغم تغير ملامح كل بيوت البلدة الصغيرة التى كبرت مع الزمن حتى صارت مركزا به قسم شرطة وأمن دولة وسجون، بدلا من دوار العمدة وغرفة التليفون.. اوقفنى بصوته الجهورى لم يبق يملك غيره بعد أن نحل جسده وشاخت ملامحه الحادة وانزوت داخل تجاعيد وجهه الذى سار كورقة ضجرة الجميز العتيقة فى طرف البلدة التى كانت قرية صغيرة، كباقي قرى المحروسة بدفنها الذى ملأ الدنيا عبقا اريحيا ومحبة وسلام لاتدركه إلا تلك النفوس التى عاشت زمنها الجميل.. لم يكتفى عمى حسنين باستيقافى، بل أصر على ذهابى إليه حيث يجلس، بنظرة من عينيه أعرفها منذ كنت طفلا، وإيمانه من رأسه المرفوع على هامته كنسر يرمق البرية.. وقبل أن اقترب منه مسلما مستسلما مقبلا يده، كما عودنا.. قال: تعالى يابن الحاج.. أنت عاملى كاتب وبتكتب فى الجرايد.. قلت مبتسما: اللى تشوفه يا عم الحاج.. قال بعليانه: يأد أنا عارف عنك كل حاجة.. أنا صحيح مابقراش كل اللى بتكتبه.. لكن أهو الجواب بيبان من عنوانه.. - تقصد إيه يا عم الحاج.. قلتها واستدعيت قدراتى على تحمل جلد لسانه اللاذع فى نقده.. لكن يبدوا أنه أدرك تغيرا فى ملامحى قد ملأ عينيه بياضا شعر رأسى الذى بدأ يتطاير مع الزمن، ولم يبق من سواده إلا القليل.. وبلهجة جديدة تحمل معانى الرفق قال: فين دورك يا أستاذ فى اللى بيحصل فى البلد.. قلت: أدى أحنا بنعمل اللى علينا والباقى على ربنا.. قال ساخر باين.. ايقنت أن الطبع غلاب، ومن بعد السلام والتحية، ذهبت وعى حواره الساخر البليغ، عرفت كيف تسخر اللغة الساخرة لتحمل معانى الاحترام للمخاطب.. هذا المصري البسيط الجالس على مصطبته كيف حلل الأحداث، وقرأ ما وراء الخبر، وصنع رؤية مستقبليه بفطرته العبقرية، تمنيت لو يتمتع بجزء منها كثير ممن هم صدارة المشهد وقلب الحدث، فايرى ما علق فى ذاكرتى بل فى قلبى.. ليس تحليله لحاجة رجل الشارع البسيط للأمن الشامل فى مأكله ومسكنه وعمله وصحته دون النظر للتفصيلات المملة التى تملأ الفضاء من حوله عن شكل القادم وكيفيته حزبيا ورئاسيا أو حتى فى مجلس الشعب.. (بالمعنى الشعبى الدارج رسالة رجل الشارع للساسة هى.. لخص وهات من الأخر هانعيش أزاي) ليس هذا ما أعجبنى بقدر تلميحه لى باننى وكل من يمسك القلم أو يتخيل أنه مثقف أو فنان أو سياسى يسير خلف الركب ليست لديه قدرات إبداعية حقيقية تجعل الركب يسير خلفه.. وتسائل بطريقته قائلا: ينفع يا أستاذ العربية هى اللى تسحب الحصان فى كل الحالات وخاصة لو كانت العربية والحصان قدام مطلع جامد ومرتفع.. انتوا يا أستاذ مش ملا حقين تمشوا ورا اللى بيحصل.. بينما دوركوا أنكم توجهوا الناس وتخلوهم يأمنوا بيكوا ويمشوا وراكم فى ثقة.. لو عملتوا كده يبقى انتوا فعلا فى مكانكم الصحيح..وختم عمى حسنين الوزير كلامه بما لا يجب أن أنساه..يارب يابنى تكتب وتقول للناس اللى فوق دى.. أن مصر مش خروف قدامكم على الطبلية والا على السفرة بلغتكم يابتوع مصر.. بتقسموه بناتكم..لا يابنى.. دى مصر هى كل شئ فوق تاب البلدى وتحته وفوق سماه..زى ما ليه فيها عليه ليها.. وقوم يابنى روح وطمن اهلك عليك.